

قضايا التفسير بين التجديد والتقليد للشيخ التواتي بن التواتي الأغواطي

الجزائري-عرض وتقديم لتفسيره المشهور "الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين"

Issues in exegesis between renewal and mimesis. Sheikh Dr. Al Twati ibn Al Twati Al Aghouati Aldjazairi. Presentation and exposition to his renowned exegesis "Al Dor Athamine fi Tafsir Al kitab Al Mobine."

أ.د. حموعبد الكريم

hamou.abdelkrim@gmail.com

باحث بالمركز لوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران- الجزائر.

تاريخ القبول: 2023/04/08

تاريخ الاستلام: 2022/03/04

الملخص:

علم التفسير من أجل العلوم الدينية، إن لم يكن أشرفها جميعا، وذلك لسمو موضوعه وعظم فائدته، لذا يُعد من أول ما يُدون من علوم القرآن، لأنه هو الأصل في فهمه وتدبره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام الشرعية وتبين الحلال من الحرام والأصل من الفرع، ولقد قيّض الله من عباده علماء اعتكفوا على قراءة كتابه العزيز وحفظه ومدارسته، وممن انبرى لتفسير كتاب الله المسطور، وتسيير فهمه دون إخلال أو قصور، شيخنا الفاضل الشيخ التواتي بن التواتي الأغواطي الجزائري، الذي كانت له جهود معتبرة في خدمة كتاب الله والدعوة إليه، ومنها اشتغاله بالتفسير دعوة وتدرسا.

الكلمات المفتاحية: التفسير، التواتي بن التواتي، العلوم الدينية، علوم اللغة.

Summary:

Above all sciences involved with in study of the Qur'an, exegesis is the most honourable. Due to its subject and its usefulness, it is one of the first sciences of the Qur'an. Important to its understanding and distinguishing the halal from the haram. Thus, God has led scholars to reading His Book and memorising it. One of the scholars who committed his life to commenting Qur'an was the Algerian

Sheikh Al-Twati bin Al-Twati al-Aghouati, who had significant efforts in the service of the Book of Allah and in preaching it.

Keywords:

Exegesis, Al-Twati bin Al-Twati, religious sciences, science de language.

حمو عبد الكريم، hamou.abdelkrim@gmail.com

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم لهداية البشرية جمعاء، كتاب نور وهداية ورشاد، كما تعهد الله بحفظه من كل تحريف أو تزيف قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) سورة الحجر الآية 09، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الورى محمد بن عبد الله الهادي الأمين وعلى أصحابه الغر الميامين، أما بعد.

فعلم التفسير من أشرف العلوم الدينية، إن لم يكن أشرفها جميعا، وذلك لسمو موضوعه وعظم فائدته، لذا يعد من أول ما يُدون من علوم القرآن، لأنه هو الأصل في فهمه وتدبره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام الشرعية ويتبين الحلال من الحرام والأصل من الفرع، ولقد قيض الله من عباده علماء اعتكفوا على قراءة كتابه العزيز وحفظه ومدارسته، وممن انبرى لتفسير كتاب الله المسطور، وتسيير فهمه دون إخلال أو قصور، شيخنا الفاضل الشيخ التواتي بن التواتي الأغواطي الجزائري، الذي كانت له جهود معتبرة في خدمة كتاب الله والدعوة إليه، ومنها اشتغاله بالدرس التفسيري عملا وتدريسا.

وقد سخر المولى عز وجل طائفة من المؤمنين يفقهون الناس أمور دينهم وأحوال آخرتهم، قال تعالى: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)، سورة التوبة، الآية: 122، وقد ذكر الإمام السعدي: "المقصود به العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسرارها، وليعلموا غيرهم.."، فلا يفهم مقصود ومعاني القرآن الكريم ولا أحكامه ومعانيه، إلا إذا توافرت نخبة من العلماء لها رسوخ معرفي بالدين وعلومه ومقتضياته، ومن هنا جاءت هذه الدراسة البحثية لتعرفنا مقدار هذا الرجل العظيم في هذا المبحث "قضايا التفسير بين التقليد والتجديد". ولتقدم

لنا بعض ملامح تفسيره وإسهاماته اللغوية والفقهية والبلاغية التي اشتهر بها في حياض جزائر العلماء النجباء.

أهداف الدراسة:

-أتناول علما من أعلام الجزائر في العصر الحديث، وقطبا فاعلا في حقل العلوم الشرعية واللغوية.

-أعرض دراسة تطبيقية أقدم فيها بعض المسائل التفسيرية بما يخدم الباحثين والدارسين في علم التفسير.

-أبرز منهج الكتابة ودواعي التأليف وخصوصيتها من خلال تفسيره.

مشكلة الدراسة :

تتجلى مشكلة الدراسة في الإجابة عن سؤال عام هو: ما هو المنهج العام الذي سار عليه الشيخ التواتي؟ وتتفرّع عنها الأسئلة التالية: ما هي مصادر تفسيره؟ وما الإسهامات اللغوية والبلاغية التي انماز بها عن غيره من المفسرين؟

الدراسات السابقة :

لقد نال هذا التفسير العديد من المناقشات والدراسات الأكاديمية، وبعض المقالات العلمية المنشورة، نذكر منها على سبيل الحصر، صدور كتاب بعنوان "قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ تواتي بن تواتي"، للأستاذة هاجر بوغرارة، تلمسان 2019، ورسالة ماستر بعنوان "الجانب الاصلاحى التربوي في تفسير الشيخ التواتي"، وأخرى في قسنطينة وعنابة، وهناك رسالة دكتوراه عن تفسيره بجامعة بغداد، ومقال منشور في المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية حول "منهج الشيخ التواتي في تفسير الدر الثمين" بقلم محفوظ حاج إبراهيم والباحث يحي ضاوي شطناوي، سنة 2016م، ومقال "التفسير الفقهي عند الشيخ التواتي بن التواتي"، 2019، ومقال آخر حول: "مقاربة لصور التناظر في تفسير الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للدكتور التواتي بن التواتي" 2022.

منهج الدراسة :

تمهض هذه الدراسة على المنهج التحليلي الاستنباطي الذي يقوم على استنباط جهود الشيخ التواتي بن التواتي ضمن مباحث التفسير القرآني، وإبراز بعض القضايا اللغوية والبلاغية التي طرحها، معتمدين على آراء المُفسِّرين والفقهاء واللغويين، مع تبيان التعاليق والتوجهات المنضوية تحت كل محور، وتوظيف بعض الشواهد التطبيقية والاجتهادية تقريبا للفهم والاستيعاب، وللعلم فإنّ هذا التفسير قائم على تتبع الأصول الشرعية (المأثور)

من القرآن والسنة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين ولا مجال للرأي فيه ولا للتصورات العقلية، فكل مسألة لها توثيق شرعي وسند حديثي ومنزغ فقهي وترجيح لغوي وبلاغي، ومنه فالحديث عن الشيخ التواتي ومحاولة ضبط منهجه، وتحليل مسالكه، يحتاج إلى جهد جهيد وتخصص عميق؛ فجهد الفقهي المتميز ومباحثه التفسيرية المعمقة، ومكانته اللغوية واللسانية الفائقة.. جعلته يدرك مرتبة الفقهاء الفحول المتميزين في فن الشريعة الإسلامية وحقول اللغة العربية ومجازها.

1- التعريف بحياة المؤلف وظروف نشأته.

هو الفقيه المفسر الأصولي التواتي بن التواتي ابن الحاج مبارك، بن الحاج سليمان الأوغاوي الأمازيغي²، من أسرة متوسطة الحال طيبة الأصول، من مواليد أول من شهر سبتمبر 1948م³ بالأوغاوط، المدينة العريقة التي أغلب سكانها تجار وحرفيين وموالين، فهو من عائلة كريمة محافظة، تربي على الخلق الفاضل والحشمة والوقار، بيت علم وذكر وتلقي، فقد كان جده الحاج سليمان موالا، ووالده الحاج مبارك من حفاظ كلام الله، ومن أسرة كبرت على ورد وترتيبات الطريقة الرحمانية، فكل الظروف مهيأة لأن تُخرج رجلا من طينة كبار المفسرين كالشيخ عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت:1471م)، وقطب الأئمة الإباضية أمحمد بن يوسف أَطْفَلِيش (ت:1914م)، والشيخ عبد الحميد ابن باديس (ت: 1940م).. وغيرهم، وقد حفظ القرآن الكريم على الشيخ كوسي المبروك رحمه الله⁴، وهو من مقدمي الزاوية الرحمانية* ومن الشيوخ البارزين في مدينة الأوغاوط، فختم على يده القرآن الكريم ولم يتجاوز التاسعة من عمره، ثم التحق بالمدرسة الفرنسية" المدرسة الأهلية"، وبها أخذ مبادئ اللغة الفرنسية، ثم انتقل كغيره من الصبيان لتعلم علوم الشرع واللغة العربية بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم نداه الواجب الوطني وانخرط ملييا نداء جيش التحرير الوطني حتى استقلال الجزائر 1962م، وبعد الاستقلال عاود حفظه للقرآن الكريم للمرة الثانية عند الشيخ غالم محمود رحمه الله تعالى، وأخذ أيضا مبادئ الفقه وأصوله عن الشيخ أبي بار الحاج عيسى رحمه الله⁵، وزاد عليه قراءة كتاب المحصول لعلم الأصول للرازي (606هـ) وكتاب وبدائع الفوائد لابن القيم الجوزية (751هـ)، وكتاب الموافقات للإمام الأصولي أبو اسحاق الشاطبي (790هـ)، وكان يحدد له فصلا ويأمره بقراءته ويقول له: "ما فهمته فقد فهمته، وما لم تفهمه فذاك محلّ الدرس"⁶، فكانت هذه طريقة نافعة في الاستظهار والتلقين، وقد علقت بذهنه أشياء كثيرة لا زال يتذكرها حتى الآن، إلى أن تولى الإمامة بمساجد الأوغاوط، وحينها بدأ بمهام الإمامة وأغارها والدعوة إلى الله تعالى، وقد

ساعدته الظروف الدينية المحيطة به بأن يصقل موهبته المعرفية، ويأخذ نصيباً كبيراً من العلوم الشرعية كالفقه والحديث وعلم القراءات وعلوم اللغة... فكان حفظه للقرآن وهو ابن التاسعة سنوات من عمره مفازة ومكسباً بعد صبر ومجاهدة من الوالد رحمه الله تعالى، وعناية من الخالق سبحانه، ومن هنا بدأت البدايات.

2- مكانته العلميّة وأهم مؤلفاته:

سخر الشيخ التواتي بن التواتي نفسه طيلة 46 سنة معلماً ومدرسا وداعياً إلى الله تعالى جاعلاً قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) سورة النحل الآية 125؛ منهجه في الحياة، ولم يمنعه كبره أو انشغاله الأسري ومهامه الدعوية والاجتماعية من مواصلة التعلم، فتحصل على شهادة الليسانس في الحقوق، وشهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، وفي مرحلة التقاعد وبالضبط بداية الألفين 2000م تحصل على شهادة الماجستير ببحث أكاديمي بموضوع: "الأخفش الأوسط وأراؤه النحوية" وبعدها سجل سنة 2004م، بجامعة الجزائر، ثم قدّم تصوراً جديداً لنيل شهادة الدكتوراه وكان الموضوع حول: "القراءات وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي"، وتمت مناقشتها ونال التشريف والتثمين على جهده العظيم، وبجامعة عمار ثلجي بالأغواط التي قضى حوالي ست وعشرون سنة أستاذاً مشاركاً ومناقشاً للعديد من البحوث العلمية (رسائل علمية في الفقه واللغة والبلاغة)، ولم ينقطع عمله بتقديم الدروس المسجدية في كل وقت، وخاصة بين صلاة المغرب والعشاء بمساجد الأغواط، وبيته مزاراً للسائلين والزوار والمحبين الذين يطلبون الاستفتاء في قضايا الدين ومسائل الخلاف بين المذهبين الإباضي والمالكي، باعتباره المشارك الأول الداعي إلى التقريب بين المذهبين، وقد حظي الشيخ شهرة محترمة بين أقرانه وبين مجتمعه، وبلغ صيته الجزائر وتعداها خارج حدودها⁷.

3- مؤلفات الشيخ التواتي بن التواتي: ترك لنا الشيخ حفظه الله مؤلفات متنوعة منها:

• في الفقه:

موسوعة فقهية "المبسوط في الفقه المالكي بالأدلة"، خمس مجلدات، طبع مؤخراً في دار الوعي، حلب.

"الإمام المازني المالكي ومنهجه الفقهي"، مطبعة الإمام مالك ط: 2018/1.

"منهج السالك في شرح موطأ الإمام مالك"، عشرين مجلداً، دراسة تقابلية بين مسند ربيع بن حبيب والموطأ، دار الإمام مالك، الجزائر، 1442 هـ، 2020 م.

- "الفقه المقارن: دراسة تقابلية بين المذهب المالكي والإباضي"، وهو كتاب خص للمقارنة بين فقه المالكية والإباضية، طبع طبعة محلية، وطبع في مجلدين بدار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- "محاضرات في الفقه المالكي"، قيد الطبع.
- "الناسخ والمنسوخ"، دار الامام مالك.
- "الدروس الوعظية"، ثلاثين جزء طبع منها ثلاثة أجزاء.
- "مالك إمام دار الهجرة ومنهجه الفقهي"، مطبعة بن سالم 2017م.
- مؤلفاته في أصول الفقه:
- "التحفة الهمية في أصول الفقه"، (منظومة في ألفي بيت) مطبوعة.
- "شرح التحفة الهمية في أصول الفقه" في ثلاثة مجلدات طبعت بـ (دار ابن حزم).
- "إرشاد العلي المنان في معرفة الناسخ والمنسوخ في القرآن"، ثلاث مجلدات.
- مؤلفاته في الحديث النبوي الشريف:
- كتاب الدروس الوعظية من خلال الأحاديث النبوية.
- في التفسير:
- "كتاب الفيض القدسي في تفسير آية الكرسي"، مطبعة رويغي، ط1 سنة 2011.
- "الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين" في عشرين جزء، صدر بمناسبة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015، وأعيد طبعه برعاية مديرية الثقافة لوزارة الشؤون الدينية طبعة ثانية عن دار الحكمة للنشر 2016.
- في القراءات القرآنية:
- "القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي"، دار الوعي، الجزائر، 2008.
- "قراءة نافع برواية ورش في المغرب الأوسط"، الجزائر.
- في النحو وأصوله وفي الدراسات اللغوية:
- "الأخفش الأوسط وآراءه النحوية"، دار الوعي، الرويبة الجزائر، 2008.
- "المصطلحات بين الفقهاء والنحاة -مخطوط-
- "الخصائص اللغوية والنحوية لهجة بني تميم"، (رسالة صغيرة)
- "محاضرات في أصول النحو"، دار الوعي، الرويبة الجزائر، 2008.
- "مفاهيم في علوم اللسان"، دار الوعي، 2013.

"المدارس اللسانية: تشمل على أهم المدارس اللسانية، الوظيفية والتوليدية التحولية والخليلية، (دار الوعي، الروبية الجزائر، 2008.
 "المدارس النحوية"، دار الوعي، 2008.
 "الموجز في قواعد العربية"، جزآن- مخطوط.-

• في الشعر:

له مجموعة من الأشعار باللغة الفرنسية والعربية وهي قيد الطبع.

• مؤلفاته في الدعاء والاستغاثة.

كتاب "الاستغاثة الروحانية"

• مؤلفاته في التصوف:

كتاب في التصوف⁸.

بالإضافة إلى المقالات العلمية في المجالات المتخصصة نشرت في مجلة اللسانيات الصادرة عن مركز ترقية اللغة العربية، ومجلة المخبر التابعة لمعهد أصول الدين بالجزائر، ومجلة مجمع اللغة العربية بالجزائر، ومجلة قسم اللغة والأدب العربي جامعة الأغواط، ومجلة الواحات الصادرة عن المركز الجامعي ولاية غرداية. وله عدة مشاريع مشتركة في الفقه واللغة يسعى إلى تحقيقها مستقبلا.

4-صورة عامة عن التفسير ومصادره:

وظف الشيخ التواتي بن التواتي في جل دراساته وبحوثه على المنهج التحليلي الاستنباطي القائم على تخريج النصوص وتحقيقها وتوثيقها وضبط مفاهيمها، كما سعى إلى استجلاء المعارف من المصادر الأصول (أصحاب الطبقات الأولى)، وسعى لتقديم الدليل والبرهان ضمن جملة من المعايير العلمية والموضوعية، فلا مجال للذاتية أو تغليب موقف على موقف إلى بالاتكاء على الحجة الساطعة والمنهج القويم، ومن هنا فجل أعماله نُسجت بعقل العالم المتجرد من الأهواء والعواطف التي دُبجت بعرق جهيد واصطبار مُضني.

فقد استفاد الشيخ من كل التفاسير القديمة والحديثة المطبوعة والمخطوطة، بالإضافة إلى تجربته الدعوية والإصلاحية والتربوية التي دامت قرابة أربعين سنة، مما أثمر هذا الجهد اصدار مولود جديد يعنى بتفسير كلام رب العالمين إلى الخليقة البشرية جمعاء، وقد عنونه المؤلف حفظه الله بـ:"الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين"، الذي يقع في 20 مجلدا بمعدل 600 صفحة لكل مجلد، وقد صدر في أول طبعة سنة 2016م، وقد طبع في بيروت طبعة فاخرة من حيث

الشَّكل والجودة، وتضمن هذا المؤلف جوانب مهمة في التفسير منها: الجانب الفقهي والأصولي، مباحث في علم القراءات وأصولها، مباحث اللغة العربية وأسرارها من نحو وصرف واشتقاق، وقضايا البلاغة والحقيقة والمجاز... فهي موسوعة تفسيرية جزائية نفيسة.

وقد يذهب تصور القارئ أن عنوان التفسير شبيه ببعض عناوين المؤلفات المتخصصة في علوم الشريعة والتفسير، وهذا ظاهر في شكله لكنه مختلف في محتواه، فنجد كتاب " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور "لبرهان الدين البقاعي(ت: 885هـ)، وكتاب " الدرر المنثور في التفسير بالمأثور"، و"تناسق الدرر في تناسب السور" لجلال الدين السيوطي(ت: 911هـ)، من أهم الكتب التي تأثر بهم الشيخ التواتي بن التواتي، وكذا كتاب " الدر الثمين والمورد المعين" لمحمد بن أحمد ميارة الفاسي (ت: 1072هـ)، وأعتقد أن التأثير ظاهر بشكل جلي في تسمية " الدرر الثمين"، وله ما يُبرره، وهو ليس تكراراً أو تقليداً، وإنما استطاع الشيخ التواتي أن يجمع كل هذه العناوين المختصة في علوم الشرع والبلاغة واللغة والأحاديث والإعجاز.. ويقدم تسمية مناسبة لمحتوى التفسير الذي قدمه ب: " الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين"، وقد نجد بعض العناوين قريبة من التسمية المذكورة مثل كتاب: " الدر الثمين من درر الداعية في سورة يس "لمصباح الحنون، و" الدر الثمين في أصول التفسير ومناهج المفسرين "لأبي سليمان صابر حسن و" الدر الثمين في تجويد كلام رب العالمين" لمحمد حمزة عطار أحمد خلوف أديب، وكتاب " الدر الثمين في أصول الشريعة وفروع الدين "لصالح بن سالم باحطاب... وغيرها من المؤلفات المتخصصة بفن من فنون العلوم النقلية عبر صور مختلفة.. لكنها غير متطابقة كلياً مع ما جاء به الشيخ التواتي بين التواتي.

ويذكر الشيخ التواتي سبب تسميته بـ " الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين" فيقول: "وذلك لأنني جلت في كتب التفسير القديمة والحديثة، فأخذت ما فيها من درر ومعان ومفاهيم عميقة أثبتتها في هذا التفسير، ولم أغفل الحديث عن الآيات الكونية التي هي دليل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم"⁹.

أما الدافع الرئيس الذي جعل الشيخ التواتي بن التواتي يقتحم مجال التفسير هو دعوة العالم الجليل الشيخ العلامة أحمد قصبية¹⁰ الذي كان له الفضل في توجيهه إلى تفسير القرآن الكريم، وذلك حين انتُدب للتدريس في مسجد النور بمدينة الأغواط المحروسة، وقد قصرتْ دروسه على الفقه المالكي، وكان الشيخ لتواضعه دائم الحضور وذات يوم أشار عليه

الشيخ أحمد قصبية بعد أن استضافه في بيته وأكرمه من فيضه، قال له: لو أنك تفصل بين الدروس فتجعل يوماً للتفسير ويوماً للفقهِ، بذلك تجمع بين الأصل والفرع، فكان لهذا التوجيه الرشيد أثر كبير في نفسه¹¹، وأخذ بوصيته إلى أن فتح الله عليه بفتوحاته، وصار عملاً منجزاً فريداً في التفسير، فكانت من حسنات هذا الشيخ أحمد قصبية أن يرشد الشيخ التواتي بن التواتي لاقتحام عالم التفسير والغوص في أسراره ولطائفه.

5- شروط المفسر القرآني:

يقول الراغب الأصفهاني: "وذكرت أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن الكريم العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل مفردات الألفاظ القرآن في كونه في أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللب في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فالألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليه اعتمد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرغ خُذاق الشعراء والتلغاء في نظمهم ونثرهم"¹²، ومن ثم فإن مصطلحات القرآن لها مفاتيح وآليات يجب على الناظر في كلام الله أن يعيها ويتقن أسرارها، وكان الشيخ التواتي بن التواتي من العلماء المفسرين الذين يدركون معنى المصطلح ومعرفة ضرورته لفهم النصوص والمقاصد، ولهذا كتب مؤلفاً تناول فيه "المصطلحات بين الفقهاء والنحاة".

ولتحقيق الشروط العامة التي يقوم عليها التفسير القرآني نجد توفر ما يلي:

لقد وضع العلماء شروطاً ثابتة للمتصدّي لتفسير كلام الله رب العالمين؛ ومن بين هذه الشروط التي ينبغي توفرها في المفسّر ما يلي:

* معرفة اللغة العربية وأصولها وأصولها؛ لأنّ بها يُعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"¹³.

* العلم بالمسائل النحوية (أصولاً وفروعاً)؛ لأنّ المعنى يتغير ويختلف باختلاف حركات الإعراب، وفي هذا السياق يقول الإمام الجويني (ت: 478هـ) في حديثه عن اهتمام علماء الأصول بقضايا اللغة العربية: "وأما الألفاظ فلا بد من الاعتناء بها، فإنّ الشريعة عربية ولن يستكمل المرء بالنظر في الشرع ما لم يكن رياناً من النحو واللغة"¹⁴.

* الاهتمام بعلم التصريف؛ لأنّ به تعرف الأبنية والصيغ، قال ابن فارس: "ومن فاتته علمه فاتته المعظم؛ لأنّ (وجد) مثلاً كلمة مهمة فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها"¹⁵، ولما

كان المعنى يكون في أحوال كثيرة كمعنى الماضي والحال والاستقبال والفاعلية والمفعولية وغيرها، وكانت الحاجة إلى الدلالة على كل حال ماسةً، ولم يكن بدّ من لفظٍ خاص يدل على ذلك المعنى بعينه، فلماذا وجب التصريف واختلاف الأبنية بالزيادة والنقص والتّغيير ونحو ذلك، ليدلّ كلّ لفظٍ على المعنى المراد، نحو ضَرَبَ يَضْرِبُ اضْرِبْ، لا تَضْرِبْ، ضَارِبٌ، مَضْرُوبٌ¹⁶.

* العلمُ بعلم المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يعرف بالأول (المعاني) خواص تراكيب الكلام، من جهة إفادتها المعنى، وبالتالي (البيان) خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفاءها، وبالتالي (البديع) وهو تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم¹⁷، وهذه من جملة العلوم التي يحتاجها المفسر، إذ بهم يفهم معاني الآيات ومدلول المفردات والجمل، وإبراز معجزة القرآن اللغوية والبلاغية.

* الإحاطة بعلم القراءات؛ لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن والقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض¹⁸.

* الإحاطة بعلم أصول الدّين؛ بما في القرآن من الآيات الدالة بظواهرها على ما لا يجوز على الله تعالى، فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز¹⁹.

* الإحاطة بعلم أصول الفقه؛ إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط²⁰.

* معرفة أسباب النزول والقصص؛ إذ بسبب النزول يُعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه²¹.

* معرفة الناسخ والمنسوخ؛ ليُعلم المحكم من غيره، ومعرفة الإجمال والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد.

* العلم بالفقه، والعلم بالأحاديث المبيّنة لتفسير المجمل والمهم²².

ومن هنا فالتأمل في-تفسير الشيخ التواتي- يجده ملتزماً بمواصفات المفسر للقرآن الكريم، والتي منها: امتلاكه لخاصية اللغة العربية من جهة منظومها وإفرادها وتركيبها، والعلم بأسباب نزول الآيات ومواطن نزولها، ومعرفته الجيدة بعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم القراءات؛ وله دراية تامة بخصص الأنبياء وسيرهم، ودراس لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ الصحب الكرام، فضلاً عن كونه مطلع على أغلب التفاسير القديمة والحديثة في أقطار العالم العربي والإسلامي وفي الحياض الجزائرية. فهذه الشروط كلها وجدناها في مدونة الشيخ التواتي بن التواتي.

6-مصادر تفسيره:

ذكر الشيخ في تفسيره أنه تأثر بكتب التراث العربي، وكان ينام مع كتب التفسير والحديث والفقه... ويستفيق وهو بجانبهم، بحيث كان في خلوته يضع ما يقارب من 30 كتابا بين يديه، يقرأ ويحلل ويستقري التّصوّص، ويقدم جملة ويؤخر أخرى، عاملا نظره وبصره دليلا على حواسه التي يصعبها الفتور والسهد، بينما عقله وقلبه وإرادته الصلبة لم تمنع من اتصال ليله بنهاره في القراءة والتحرير والتنقيح والتحقيق وتثوير الأفكار واستخراج الدرر الثمينة من أي القرآن الكريم، فعندما تدخل غرفته لا تكاد أن تراه بسبب ما يحيط به من مجلدات ومصنفات، تراه وكأنه أغمي عليه، لكنه في مُنعم سابح ضمن فلك الأسرار القرآنية والفتوحات التفسيرية والإشارات الصوفية... يحادث الطبري في جامع البيان ويستأنس بأقوال ابن كثير في التفسير العظيم، ويقرأ للرازي مفاتيح الغيب، وكانت هذه التفاسير الثلاثة "تفسير القرطبي المسمى جامع لأحكام القرآن، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وكذا تفسير ابن عرفة المالكي"²³، في التفسير طيلة انقطاعه بهذه المهمة الصعبة، وذلك لأن أصحابها من أعلام مذهب الامام مالك رضي الله عنه²⁴، وأخذ أيضا من تفسير جواهر الحسان لعبد الرحمن الثعالبي معلما ومرشدا، وجاعلا من تفاسير المذهب الإباضي مرجعا مثل: تفسير "هميان الزاد إلى يوم المعاد" و"تيسير التفسير" وهما للشيخ أطفيش، وتفسير الشيخ بيوض (ت: 1981م) "في رحاب القرآن"... وغيرها من المصادر التي بلغ عددها أكثر من 250 كتابا تناولت القرآن وعلومه²⁵، ومنها 220 تفسيراً منها المطبوع ومنها المخطوط، ونظر فيها آية آية جملة جملة واقتباسا..²⁶

كما استعان الشيخ بمدونة الأحاديث النبوية لتوضيح بعض ما أجمله القرآن الكريم من تشريع، باعتبار أنّ السنة النبوية بيان لأحكام القرآن الكريم²⁷، فالحديث شاهد قوي في إثبات الحجّة أو إبطال باطل، وقد ظهرت عنايته بالحديث النبوي؛ بل جعل معرفة الحديث ومنزلته ودرجته، من الفرائض الواجب إدراكها، وكان يحشد الأحاديث المتشابهة في الموضوع الواحد بغية إزالة مبهمة وتوضيح معنا من المعاني.

كما استعان الشيخ بكتب المعاجم العربية، فأى مفسر لكلام الله تعالى، يجب عليه أن يستأنس بالمعاجم العربية لفهم معاني ومدلولات الألفاظ وتحولاتها الاصطلاحية والشرعية، إذ اعتمد على معاجم لفظية وموضوعية منها: معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (ت: 395هـ)، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، ومعجم مختار الصحاح لأبي بكر الرازي، (ت: 691هـ)²⁸، والظاهر أنّه تأثر كثيرا بجهود اللغويين

أمثال: الخليل (ت:170هـ)، سيويه (ت:180هـ)، وابن جني (ت:392هـ)، وابن مالك صاحب الألفية (ت:672هـ) بالإضافة إلى الكتب التي تناولت إعراب القرآن مثل الزجاج والمبرد والكسائي والأخفش والفراء وإعراب القرآن لابن سيده²⁹.

كما وظف الشيخ الشاهد الشعري في مجال فهم المعنى وتحديد الدلالة³⁰، وليس أدل على ذلك ما اعتمده ابن عباس في تفسيره، بحيث إذا صَعُبَت عليه اللفظة القرآنية ذهب باحثاً عنها في ديوان العرب، وهذا المنهج سار عليه أغلب المفسرين كالطبري والزمخشري وأبي حيان وغيرهم، ويأتي الاستشهاد الشعري في المقام الرابع عند الشيخ التواتي، سواء ما تعلق بالشعر العربي القديم أو الحديث، ف"الشعر ديوان العرب، وبه حُفظت الأنساب وعُرفت المآثر، ومنه تُعلمت اللغة، وهو حُجة فيما أشكَل من غريب كتاب الله جل ثناؤه، وغريب حديث رسول الله وحديث صحابته والتابعين"³¹، فهو سجلهم ومرآة عصرهم، ولما جاء الإسلام هذبهُ ورققه. فإنه "لم يكن غني للمفسر في بعض المواضع من الاستشهاد على المراد في الآية بيت من الشعر، أو بشيء من كلام العرب، لتكميل ما عنده من الذوق عند خفاء المعنى وإقناع السامع والمتعلم اللذين لم يكمل لهما الذوق في المشكلات"³².

كما استشهد الشيخ التواتي بأقوال وكتب أهل الذكر والتصوف والإشراق، مثل ما جاء في سورة الفلق ذكر مقولة القشيري رحمه الله: "وفي السورة تعليم استدفاع الشرور من الله، وإن من صح توكله على الله، فهو الذي صح تحقيقه بالله، فإذا توكل لم يوفقه الله للتوكل إلا وأن لمعلوم من حاله أن يكفيه ما توكل به عليه"³³...قال القاضي عياض³⁴.

كما كانت كتب الأدب العربي زبدة مائتته التفسيرية أمثال كتاب الظرف والظرفاء لمحمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، المعروف بالوشاء (ت:325هـ) وكتاب الأوائل لأبي هلال العسكري (ت:395هـ)، وكتب الجرجاني (ت:471هـ) والرماني (ت:994هـ) وغيرهم.

7- طريقة العرض ومنهجية التفسير:

وضع الشيخ لنفسه برنامجاً علمياً لزم به نفسه وأوصى به عائلته وأولاده، وهو بمجرد تأدية صلاة العشاء يأخذ مكانه للنوم ليستيقظ منتصف الليل أو مع الواحدة صباحاً، ويذهب إلى مكتبه في الغرفة المجاورة، حتى الثامنة صباحاً، فهو يعيش بالكتب ومع الكتب، وكان يقول لابنه عبد القادر: "البارحة كانت لي جلسة علمية جميلة مع القرطبي والرازي والسيوطي ومع الإمام أبي عبد الله المازري وابن عبد البر.. فهؤلاء هم أصحابه الذين يتمتع بالأخذ عنهم"³⁵.

والشيخ منذ فترة لا يخرج من منزله إلا للضرورة، وأحيانا يقضي شهورا لا يخرج إلا يوم الجمعة لتأدية الصلاة، باستثناء حالات السفر لملتقى أو ندوة أو محاضرة خارج البلدة، وفي السنوات الأخيرة – كما يذكر ابنه عبد القادر- لم يعد يسافر كثيرا نظرا لكبره وتعبه وعدم قدرته على تحمل مشاق السفر، فالمادة العلمية متوفرة في مكتبته الخاصة، وما وصل إليه من تمكن معرفي وتوسع تفسيري وفقهي هو توفيق من الله وصبر واصطبار، من خلال هذا النظام والجهد الذي بذله في محيطه الخاص به.

فقد شرع الشيخ حفظه الله في تفسير الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين بادئا بتعريف كريم لنفسه (مصنف التفسير)، ثم تناول في مقدمة موجزة تعريفية شاملة لتعريف علم التفسير والحاجة إليه، وشرفه، ثم ذكر ما يجب على المفسر أن يتوافر من علوم وملكات التي يجب معرفتها قبل الخوض في التفسير، ثم ذكر مدارس التفسير الثلاث وهي: 1- مفسرو مكة المكرمة، تلامذة ابن عباس 2- مفسرو الكوفة، تلامذة عبد الله بن مسعود 3- مفسرو المدينة 4- عهد التابعين، كما سرد المنهجية العامة التي اعتمدها حيث قال: "فقد سلكت فيه الجمع بين الأثر والنظر"³⁶.

وقد انبنى الفصل الأول على تعريق تأسسي لعلم القراءات وقواعدها وشروطها.. فذكر تعريف الزركشي وابن الجوزي والدمياطي وغيرهم، ثم تناول اختلاف العلماء في القراءات، وانتقل إلى الفرق بين القرآن وعلم القراءات، ووقف على القراءات السبع وقراءها، وأقسام القراءات: المتواترة والصحيحة، وشروط قبول القراءات.. وقد خصص لهذا المبحث 100 صفحة بغية منه تمكين القارئ في التعريف بطرق القراءة وضوابطها واختلافها في أداء المعاني القرآنية.. كي تكون له دليا ومعينا في فهم بقية التفسير. أما الفصول المتبقية فكانت منصبة على مباحث التفسير من أول سورة الفاتحة إلى نهاية آخر سورة من المصحف وهي سورة الناس.

فبدأ بعرض سورة الفاتحة وما تضمنته الآية من الاقرار بالربوبية، والالتجاء إليها في دين الله، والصيانة عن دين اليهود والنصارى، ثم تناول فضلها ومقاصدها، وذكر أوجه محل الاستعادة في بداية قراءة القرآن الكريم، وفي مسألة هل البسملة ليست آية من القرآن الكريم؟ فقد شرع في ايراد المسائل المنضوية تحتها بقوله: أما مسألة البسملة فتعد آية من الفاتحة، ولقد أفاض البحث فيها من خلال كتابه "إرشاد العلي المنان في معرفة علم الناسخ

والمندسوخ في الكتاب المبين"، فقال: "ولعل ما أذكره هنا تنمة لما لم يذكر هناك فأقول: لقد روى مسلم عن أبي هريرة T قال: سمعت رسول الله P يقول: "قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل فإذا قال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال العبد: (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) قال الله تعالى: أثنى علي عبدي وإذا قال العبد: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قال مجدني عبدي، فإذا قال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل فإذا قال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) قال هذا لِعبي ولعبي ما سأل" ³⁷.

فقوله سبحانه: "قسمت الصلاة" يريد الفاتحة، وسماها صلاة، لأن الصلاة لا تصح إلا بها، فجعل الثلاث الآيات الأول لنفسه، واختص بها تبارك اسمه، ولم يختلف المسلمون فيها، ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد وطلب الاستعانة منه، وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى، ثم ثلاث آيات تنمة سبع آيات.

فثبت بهذه القسمة التي قسمها الله تعالى وبقوله عليه السلام لأبي: "كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة" قال: فقرأت "الحمد لله رب العالمين" حتى أتيت على آخرها - أن البسمة ليست بأية منها، وكذا عد أهل المدينة وأهل الشام وأهل البصرة، وأكثر القراء عدوا (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) آية، وكذا روى قتادة عن أبي نضرة عن أبي هريرة قال: الآية السادسة (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)، وأما أهل الكوفة من القراء والفقهاء فإنهم عدوا فيها "بسم الله الرحمن الرحيم" ولم يعدوا (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ³⁸.

ثم يستنتج الشيخ التواتي هذه الآراء وغيرها فيقول: "إنها ثبتت في المصحف وهي مكتوبة بخطه ونقلت، كما نقلت في النمل، وذلك متواتر عنهم وقلنا: ما ذكرتموه صحيح، ولكن لكونها قرآناً، أو لكونها فاصلة بين السور.. كما قد اتفقت الأمة على كتابتها في أوائل الكتب والرسائل؟ كل ذلك محتمل - والله أعلم - ³⁹.

ولقد اتبع الشيخ التواتي منهجية عامة جمعت بين التبع الأثري للنصوص الشاهد وبين والنظر؛ أي بين المنقول والمعقول، واتبع طريقة تقريرية تعتمد على الوصف والتحليل وتوظيف النظر والاستفادة من كتب الأوائل والأواخر وعلومهم، كما نجد في مقدمة تفسير يبين هذا بقوله: "فقد سلكت فيه الجمع بين الأثر والنظر" ⁴⁰.

كما اعتمد على شرح القرآن بالقرآن، فما أجمل في موضع وقصر نظره، قد يتسع في موضع آخر ويستظهر معلومه من مجهوله، فإن أعيالك فعليك بالسنة المطهرة فإنها شارحة

للقرآن و متممة له، ثم يستأنس بأقوال الصحابة عليهم الرضوان، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها..⁴¹.

والملاحظ عند الشيخ التواتي أنه يعتمد على الرواية الثابتة في تفسير القرآن الكريم، سواء أكانت تلك الرواية نصاً من القرآن أم السنة، أم قولاً لصحابي، أو تابعي، لا سيما ما رُوي عن تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما، كمجاهد، وعكرمة، وعطاء، وغيرهم، وكتب التفاسير غنية بأمثلة هذا النوع من التفسير، وهو مستند كثيراً لقول ابن كثير الذي يرى أن "القرآن يفسر بعضه بعضاً، وهذا أولى ما يفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار"⁴².

8- المنهج العام الذي سار عليه الشيخ التواتي بن التواتي في تفسيره:

بدأ الشيخ التواتي بمقدمة؛ افتتاحها بالحمدلة والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه؛ ثم ثنى على أهل القرآن الذين يحفظونه ويتلونه حق تلاوته بأن يتدبروا حقائقه وعباراته ويتفهموا عجائبه وتبينوا غرائبه قال الله تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) سورة ص الآية 29، وحاول الشيخ في بداية كل سورة أن يضع ما يسميه (لوحة) وتشمل الآية أو الآيات المراد تفسيرها، يضعها في إطار، ثم يبدأ في تفسيرها كالنحو الآتي: 1- بين يدي هذه السورة، 2- سبب نزول هذه السورة، 3- فضل السورة 4- أسماء سورة، ثم شرع في تقسيم السورة إلى آيات: 5- التحليل اللغوي للفظ، 6- أوجه القراءات الآية، 7- التحليل التحويلي والصرفي والبلاغي، 8- المعنى الإجمالي، 9- موعظة وعبرة، 10- توجيه وتذكير، 11- الآية والواقع. والأمثلة عن ذلك كثيرة نورد مثالا واحدا للإيضاح، فقد قال في بداية تفسيره لسورة "عبس" ما يلي: "هذا بيان حال الأعشى، ذكر شرف القرآن، أبو جهل وإنكاره البعث، وإقامة البرهان على ثبوت البعث، وإحياء لموتى، وشغل الخلق في العرصات، وتفاوت حل أهل الدرجات والدركات"⁴³، ويذكر الشيخ أسماء السورة المتفق عليها والمختلف فيها؛ وبين وجه تسمية كل منها في كل موضع من السورة، مثلما ذكره في سورة الهمزة فيقول: "سميت هذه السورة في المصاحف ومعظم التفاسير (سورة الهمزة).. وذكر قول الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز بـ "سورة الحطمة" وتسمى سورة الويل..⁴⁴.

وفي بيان سبب النزول يعرض الشيخ في أكثر من موضع الأقوال الواردة في سبب نزول السور، وفي كثير من موقف يقول: "اختلف المفسرون في كذا... مثلما ذكره في سورة الإخلاص بحيث أورد عشرين قولاً في سبب نزولها، ثم يحاول أن يختم بقول موجز إفادة يجمع كل

الأقاويل بأسلوب مقنع وبفهم ومنطق شامل⁴⁵، ويسعى الشيخ لتبيان ما هو المكّي والمدني؛ واختار من ذلك أشهر الأقوال: بأن ما نزل قبل الهجرة مكياً، وما نزل بعد الهجرة مدنيٌّ. ولعل من المفيد هنا التذكير بطريقة العرض التي سار عليها، بحيث يتبع الشيخ منهجاً شبه موحد في أغلب تفسيره، بحيث يبدأ الشاهد القرآني، وأول شيء يقوم بذكره هو بين يدي السورة (مناسبة السورة)، ويسرد الأقوال والوقائع المؤسسة لنزول السورة ويعرض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والعلماء.. ثم يبرز المعنى الإجمالي للسورة أو يسميها "مقاصد السورة" أو "أغراض السورة" وما احتوت عليه من معانٍ واحتمالات وتوجهات، ثم يشرع في التفسير التفصيلي للآيات ويسميه "التحليل اللغوي" ويعرض أوجه القراءات والتحليل النحوي والمعنى الإجمالي للآيات، وفي مرات عديدة يقدم التحليل اللغوي للآيات والمفردات قبل سبب نزول السورة وأغراضها مثل ما ذكره في سورة الفيل⁴⁶.

ولأنّ حاسة الشيخ التواتي بن التواتي اللغوية تدفعه إلى مراجعة المفردة القرآنية في مقالاتها المتنوعة في مختلف سور القرآن متى وردت لأول مرة في القرآن، مراجعاً ومدققاً ومحصّصاً، فإنّه ينطلق من "البحث اللغوي" للمفردة وصولاً إلى المعنى الإجمالي، ومثال ذلك على سبيل العرض مفردة "الصمد"، بحيث بحث الشيخ عن معناها في خمسين تفسيراً قرآنياً، ليعرف المعنى الذي تؤول إليه اللفظة، وهو جهد لغوي بنبيء عن الحس اللغوي الذي انماز به⁴⁷.

ولا يترك الشيخ التواتي مساحة الهامش فارغة؛ بل يوظفها باستدراك تعريفات لبعض الشعراء، وذلك عندما يحاول أن يقدم توسعة لغوية ودلالية لمفردة ما، فيقدم تعريفاً موجزاً عن حياتهم، مثال ذلك عرضه لبيت شعري للقعقاع بن عمرو وأرد تعريفاً له في الهامش⁴⁸، وكذلك مع هند بنت أثاثة بن عباد في شرح كلمة "الخطب"⁴⁹، وفي تفسير كلمة "المسد" أورد أبيات شعر عمر بن لجا⁵⁰، ونفسه مع عامر بن الحليس الهذلي في شرح كلمة "سجرت"⁵¹. كما نجده في نهاية كل جزء من تفسيره، يقدم فهرسة شاملة للسور، ويُسمي كل سورة بمواضيعها وما تحويه من معانٍ وفوائد، ويأتي التقسيم حسب طول السورة أو قصرها، وهو المنهج العام الذي سلكه، ويحاول أن يُمرر رسالة توعوية وعظة وعبرة، وذلك عند انتهاءه من كل سورة، يربط مضمون السورة بالواقع الذي يعيشه ويحياه، فيسميها موعظة الجلسة أو تذكرة وتبصرة، (وهنا تظهر ملامح التجديد التي يريد الشيخ أن يظهرها، بحيث ينتفع بها القارئ والسامع للدرس التفسيري بما يحيط به من موجودات وحوادث واسقاطات يومية)،

ولا شك أنّ رصيد الشَّيخ المعرفي وخبرته الدعوية، أهلتَه أن يدرك مقامات السامعين ومدارك الانصباب عندهم، ويحدد كيفيات التبليغ (الأثري أو العقلي)، مع توحيد مراحل العرض والاستشهاد، ويقظة الشعور فيهم، بالانتباه والاستمالة إلى تفرغ الذهن من أجل تلقي فكرة جديدة، وتصوير يثير الذائقة الدينية والأخلاقية.

والملاحظ أيضاً أنه يختم بعض شواهد التفسيرية بقصيدة شعرية لها فائدة عظيمة مع مضمون السورة، ومرات يقول عبارته المشهور "ونكتفي بهذا القدر وإلى اللقاء في الدرس القادم إن شاء الله تعالى"⁵²، وفي كل ختام يدعو الله أن يتقبل منه ما قدّمه، وأن يزيل الغفلة والنسيان عن قلوب عباده الصالحين، ويدعو التوفيق لشرح واستكمال الجزء الذي يليه إن كان في العمر بقية.

9- الجهود التفسيرية التي أثارها الشيخ التواتي بن التواتي:

إنّ مبحث التجديد بالنسبة للمفسر تقتضي منه ملازمة مجموعة من المهيئات والمناسبات والمداخر، وهو ما عمل عليه الشيخ التواتي على استحضاره والالتزام به منهجاً وتطبيقاً، ومن هذا، التزامه بثبوت أسانيد بعض القراءات التي يستفاد منها في التفسير وإن لم يكن يُقرأ بها، وإن كانت قراءة أهل المغرب رواية روش عن الامام نافع، ثم البحث في نظام المفردة واللفظة القرآنية، وذلك بتفسير لفظة بلفظة أخرى، أو ما يسمى التجميع المعجمي دلالة اللفظة في سياقاتها المتنوعة، باعتبار أنّ النص القرآني مبني على الوصل وليس الفصل، ثم الاجتهاد على مستوى بيان ما أجمله القرآن الكريم وما قيده، أي (بيان الإجمال وتقييد المطلق وتخصيص العام باستخراج ما يدلّ على ذلك في صور القرآن الكريم، ثم المحطة الأخير والتي اهتم بها الشيخ التواتي ورعاها اهتماماً واسعاً، هي مسألة الاجتهاد في الجمع بين آيتين لاستنباط حكم شرعي والترجيح بين الأقوال المأثورة.

ويكفي أن نوضح بعض المسائل على مستوى:

أ-مدونة الفقه وأصوله:

أدرك الشيخ التواتي أنّ التفسير القرآني لا يدرك معناه إلا بالشواهد الفقهية. وخاصة مدونة الإمام مالك رضي الله عنه، ودائماً كان يردد عبارة وتمذهب بمذهب مالك رضي الله (ت:93هـ).. وهو من فقهاءنا المالكية⁵³... وغيرها، فالتفسير الفقهي موضوعه الحياة وأحواله (أرضي)، وقد تتجدد الوقائع وتتغير الحوادث، ولهذا يجب أن تراعى الفتوى هذا المعيار، مما يقتضي على الفقيه مواكبة ما يطرأ من متغيرات وفق ما أتفق عليه من نوازل وأحكام شرعية في أبوابها المختلفة والمذهب الذي يدينون به، ومن حكمة الله تعالى أن فسّح

للاجتهاد مجالاً رحباً يحمل المجتهد على التفكر والتدبر، وإمعان النظر، لفهم المعنى، وإدراك المقصد، واستنباط الحكم الشرعي.

ففي تفسير قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنْ أَلْسَمَاءِ مَاءً طَهُورًا)، سورة الفرقان، الآية 48، يستوقف الشيخ لبيان المعنى التفرعي الفقهي لـ "الماء المطهر"، ويحاول أن يفرق بينه وبين الماء غير الطاهر، ورغم الخلافات الفقهية المتنوعة، يحاول الشيخ أن يوجز الحديث في هذه المسألة ويقتصرها على مسألتين: المسألة الأولى: الماء المطهر، والمسألة الثانية: غير الماء هل هو مطهر أم لا؟، ثم يشرع في التفسير الفقهي فيقول: "القسم الأول وهو الذي لا يتغير فهو طاهر في ذاته مطهر لغيره، إلا الماء المستعمل فإنه عند الشافعية طاهر وليس بمطهر، وقال مالك والثوري يجوز الوضوء به، وقال أبو حنيفة إنه نجس، والمسألة الثانية: أما غير الماء هل هو مطهر أم لا؟ أما مسألة الوضوء بالنبيذ إن فقد الماء فهو غير وارد في مذهبنا المالكي⁵⁴، مستدلاً بقوله تعالى: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) سورة النساء، الآية: 43، أوجب التيمم عند عدم الماء، وهو القول الذي ذكره الرازي بقوله: "ولو جاز الوضوء بالخل أو نبيذ التمر لما وجب التيمم عند عدم الماء"⁵⁵، فالشاهد أن الماء المنزل من السماء طاهر في نفسه مطهر في غيره، ولأن كل ظهور طاهر، وليس كل طاهر ظهور⁵⁶.

ويشرح لنا الشيخ التواتي مسألة فقهية تثار في كل عصر وهي: ما حكم من يأكل من أنية أهل الكتاب وثيابهم وأوانيهم؟ هل يحكم بطهارتها؛ بناء على أن أصلها الطهارة؟ أو يحكم بنجاستها؛ بناء على أن الظاهر منهم عدم توقيهم النجاسة؟ وهنا يقول: "ولا بأس بالأكل والشرب والطبخ في أنية الكفار كلهم، ما لم تكن ذهباً أو فضة أو جلد خزير بعد أن تغسل وتغلى"، واستدل في ذلك ما رُود من حديث أبي ثعلبة الخشني قال: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَفَنَأْكُلُ فِي أَيْتِهِمْ؟ وَبِأَرْضِ صَيْدٍ، أَصِيدُ بِقَوْمِي وَبِكَلْبِي الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلِّمٍ وَبِكَلْبِي الْمُعَلِّمِ، فَاخْبِرْنِي مَا الَّذِي يَحِلُّ لَنَا مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ أَنْكُمْ بِأَرْضِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ تَأْكُلُونَ فِي أَيْتِهِمْ، فَإِنَّ وَجَدْتُمْ غَيْرَ أَيْتِهِمْ فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاعْسَلُوهَا ثُمَّ كَلُّوا فِيهَا"⁵⁷، فالحديث صريح، وقد بينه الشيخ بأن الأفضل عدم الأكل فيها لنجاستها، وإن لم يجدوا فالضرورات تبيح المحظورات، وذلك رفق بالناس، والدين يسر لا عسر فيه⁵⁸، وهو الوجه الذي جاء به المالكية بحيث يجب غسل ما استعملوه من الأنية والثياب، ولا يجب غسل ما صنعوه ولم يستعملوه، وهو مذهب مالك⁵⁹، ويكره مذهب الحنفية استعمال أواني المشركين وثيابهم قبل غسلها⁶⁰.

والشاهد هنا أنه لا خلاف بين الفقهاء على قطعية العام الذي أريد به العموم، ولا في ظنية العام بعد تخصيصه، والخلاف يقع في المسألة التي تقترن بقريضة تنفي احتمال التخصيص إذا ورد فيها نصّ عام، وجاءت بها السنة الأحادية مخصوصة، فهل يحمل العام على الخاص؟ وهو الشيء الذي حاول الشيخ التواتي التفصيل فيه بسرد أقوال المذاهب الفقهية في بعض المسائل، وترجيح موقف السادة المالكية، والخروج من الخلافات في مجمله.

ونجد هذا في قوله تعالى: (وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ..) سورة النساء الآية: 25، فلفظة "طَوْلاً" هو خلافُ القصر⁶¹، والملاحظ أنّ هذه اللفظة قد اختلف في مدلولها، ففيها إحدى وعشرون مسألة بينها أهل التفسير، فمنهم من حملها على الفضل، ومنهم على المال، ومنهم على السعة...⁶²، فالمسلم إذا لم يملك القدرة على الزواج بالحرائر، يحل له الزواج بالإماء المؤمنات، كما يدل بمفهومه المخالف على أنه في هذه الحال يحرم عليه الزواج بالإماء الكافرات، والسبب في ذلك انتفاء الوصف الذي قيد به الحكم في المنطوق، وهو الايمان، فثبتت وصف الايمان كان الحل وبانتفائه انتفى الحل وكانت الحرمة⁶³، ومن هنا يكون تزويج الأمة معلقا بشرطين: عدم السعة في المال، وخوف العنت، فلا يصح باجتماعهما، وهذا هو نص مذهب مالك في المدونة من رواية ابن نافع وابن القاسم وابن وهب وابن زياد⁶⁴.

ب- مسائل اللغة والبلاغة :

• التحليل اللغوي (المستوى اللغوي والاصطلاحي)

يبدأ الشيخ التواتي كعادته بالتحليل اللغوي للمفردات القرآنية، لأنّ بهذا المستوى نتعرف على الألفاظ ودلالاتها الأصلية والمجازية، وهو لا يسعى لتثبيت القاعدة الصرفية أو النحوية بقدر ما يبحث فيما وراء اللغة من معان وتجليات وما تؤديه في فهم المعنى، ففي قوله تعالى: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) سورة البقرة الآية: 166، فبدأ بالتحليل اللغوي لكلمة "تَبَرَّأَ" التي تعني في اللغة: التبرؤ والخلوص والانفصال، ومنه: برئت من الدين، وأصل البرء والبُرء والبُرء والتَبَرِّي: التقصّي مما يكره مجاورته، ولذلك قيل: بَرَأْتُ من المرضِ وَبَرِئْتُ من فلان وَتَبَرَّأْتُ وَأَبْرَأْتُه من كذا، وَبَرَأْتُه، وَرَجُلٌ بَرِيءٌ، وقومُ بُرَاءٍ وَبَرِيئُونَ... واستبرأ الذكر طلب براءته من بقية بول فيه، بتحريكه ونتره وما أشبه ذلك حتى يعلم أنه لم يبق فيه شيء⁶⁵ ثم يتبع بشرح كلمة "قَطَّعَتْ"

ثم كلمة "الأسباب" .. وهكذا يحاول الشيخ جمع المحاور اللفظية وربطها بمدلولاتها الاجمالية لتحصيل فكرة شاملة عن الموضوع.

وفي سياق آخر يستند الشيخ التواتي في موقفه النحوي على قول الإمام أبي حيان الأندلسي(654هـ)، حيث عرض احتمالين لأداة "ما" في قوله تعالى: (بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ) سورة البقرة الآية:16، فيقول: يحتمل أن تكون ما موصولة، أي تجري مصحوبة بالأعيان التي تنفع الناس من أنواع المتاجر والبضائع المنقولة من بلد إلى بلد، فتكون الباء للحال. ويحتمل أن تكون ما مصدرية، أي ينفع الناس في تجاراتهم وأسفارهم للغزو والحج وغيرهما، فتكون الباء للسبب، واقتصر على ذكر النفع، وإن كانت تجري بما يضر، لأنه ذكرها في معرض الامتنان⁶⁶، هو الوجه الذي زكاه الشيخ التواتي في تفسيره⁶⁷.

ومن ملامح الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، نجد للفظلة "ناظرة" في قوله تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) سورة القيامة: الأيتين: 22-23، هل معناها النظر أم الانتظار؟ فقد ورد في تأويلات مختلفة في هذه الآية منها قول المعتزلة أنهم ينكرون رؤية الله، ومن ذلك تفسير الأخفش المعتزلي (ت: 215) قال: "يعني - والله أعلم - بالنظر إلى الله: إلى ما يأتيهم من نعمه ورضقه، وقد تقول: والله ما أنظر إلا إلى الله وإليك، أي: أنتظر ما عند الله، وما عندك"⁶⁸، فالمعنى: تنظر في رزقها وما يأتيها من الله، كما يقول الرجل: ما أنظر إلا إليك، ولو كان نظر البصر كما يقول بعض الناس، كان في الآية التي بعدها بيان ذلك، وقوله (تظن أن يفعل بها فاقرة) سورة القيامة، الآية: 25، يدل الظن هنا على أن النظر ثم: الثقة بالله وحسن اليقين، ولا يدل على ما قالوا. وكيف يكون ذلك⁶⁹، والله يقول: (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) سورة الأنعام، الآية: 10، وقد رد الأزهري (ت: 370) ما فسر به الأخفش فقال: "ومن قال: إن معنى قوله: (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) بمعنى: منتظرة، فقد أخطأ، لأن العرب لا تقول: نظرت إلى الشيء، بمعنى: انتظرت، إنما تقول: نظرت فلانا، أي: انتظرت. ومنه قول الحطيئة:

وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ إِعْشَاءَ صَادِرَةٍ لِلْخَمْسِ طَالَمَا حَبَسِي وَتَنَسَّاسِي

فَإِذْ قُلْتُ: نَظَرْتُ إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِالْعَيْنِ، وَإِذَا قُلْتُ نَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ اخْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ فَكْرًا فِيهِ وَتَدَبُّرًا بِالْقَلْبِ⁷⁰.

وقد استطرد الشيخ التواتي في هذه المسألة، من خلال ما جاء على لسان سائل كان يستمع إلى جلسة التفسير فقال: فاجأنا أحدهم بسؤال عن مسألة النظر إلى الله تعالى، وهو يريد كثير من الناس الخوض فيه، وذلكم لوجود اختلاف بين فئتين، وكأن صاحب السؤال

يريد -والله أعلم- إثارة فتنة- ومع ذلك نجيبه على مذهب أهل السنة والجماعة لكونهم من أصحابنا ونتمذهب بمذهب مالك بن انس رضي الله عنه: "قوله إِيَّيَّهَا نَاطِرَةٌ" ذكرنا أن مجاهد قال: بمعنى مُنتظرة وقد خطأه كثير من أهل اللغة. لأنَّ العرب لا تقول: نظرتُ إلى الشيء بمعنى انتظرتَه، إمَّا تقول: نظرت فلانا أي: انتظرتَه... والوجه إذا وصف بالنظر وعُدِّي بـ "إلى" لم يحتمل غير الرؤية⁷¹.

• مسألة التقديم والتأخير:

تناول الشيخ التواتي هذا الباب في مواضع كثيرة مثل ما جاء في قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) سورة الفاتحة، الآية 05، قال الشيخ "لا شك أنَّ تقديم المفعول مفيد للاختصاص؛ أي لا نعبد أحدا سواك والحاكم فيه الذوق السليم، واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر، لأنَّ لعبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا تليق إلا لمن صدر منه غاية الإنعام وهو الله تعالى، وذلك أنَّ للعبد أحوالا ثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل"⁷². فالتقديم هاهنا في نظر الشيخ يفيد الاختصاص أي: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، وهو الرأي الذي ذكره السعدي⁷³، وقد عرض ابن جني سر تقديم المفعول به الكثير، وعلل بذلك فقال: "والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر، فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضوع له، حتى إنه إذا أُخِرَ فموضعه التقديم"⁷⁴.

• أسلوب النداء:

النداء من موضوعات علم البلاغة، ويدخل في نطاق علم المعاني، وهو «طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب أدعو»⁷⁵، جاء في تفسير الشيخ التواتي في حديثه عن (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) سورة القصص، الآية: 62، فقال: "وهذا نداء ثان على سبيل التقرير والتوبيخ لمن عبد مع الله الها آخر"⁷⁶. فحال المجرمين يوم القيامة، يوم يناديهم الله- تعالى- على سبيل التقرير، لأنَّ التكرير من مقتضيات مقام التوبيخ.

• دلالات ومعاني حروف الزيادة: مجيء "اللام" الزائدة:

إنَّ حروف الزيادة في القرآن الكريم أمرٌ متنازعٌ فيه، فمنهم من يسمّيه حرف تأكيد، ومنهم من يسمّيه "صلة" ومنهم من يسمّيه "مُفْحَم" مع تحرّج الكثيرين من إطلاق لفظ (زائد) تأديباً من أن يكون في القرآن زيادة، ومعلومٌ أنَّ حق الزيادة أن تكون في الحرف والأفعال، أما في الأسماء فقد نصَّ أكثر النحويين أنَّ لا زيادة فيها، وقد وضع الشيخ التواتي دور الحرف "ما"

في تفسيره للآية (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) سورة آل عمران، الآية: 15، فقال: ما "قد" جرد عنها معنى النفي ودخلت للتأكيد، وليست بزائدة على الإطلاق لامعنى لها، وأطلق عليها سيبويه اسم الزيادة من حيث زال عملها⁷⁷، وهذه بمنزلة قوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ) سورة المائدة، الآية: 13، أما الشريف المرتضى في أماليه فلم يذهب إلى ذلك، وإنما ذهب إلى أنه لم يأت إلا لزيادة فائدة الاختصاص في هذه الآية، فقال: «وتقدير قوم إنَّ» ما «ها هنا زائدة فليس الأمر على ما ظنَّوه، لأنَّ من شأنهم ألاَّ يُدخلوا "ما" ها هنا إلاَّ إذا أرادوا الاختصاص وزيادة فائدة على قولهم: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) لأنَّ مع إسقاط "ما" يجوز أن تكون الرحمة سببا للين وغيرها رقة، ولا يكادون يدخلونها مع ما "إلاَّ والمراد أنها سببه دون غيرها، فقد أفادت اختصاصاً لم يُستفد قبل دخولها"⁷⁸، ولعلَّ من المفيد أن نذكر رؤية عبد القاهر الجرجاني في عرضه للآية ورفضه مطلقاً أن يكون في القرآن حرف لا معنى له، لأنَّ وجود الحرف لا يمكن أن يكون إلاَّ بوجود معناه معه، وحدد هذا المعنى الذي يفيد حرف "ما" في الآية، وقال إنه يفيد التأكيد والمجاز⁷⁹.

فالشيخ التواتي عارض من قال بوجود الزيادة في القرآن، رغم أنه كان موافق لنهج البصريين كالخليل وسيبويه في معالجة المسائل النحوية، إلاَّ في هذه المسألة خالفهم، والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى، فإنَّ كان في الشعر أو كلام العرب فإنه مقبول، أما في القرآن فلا حاجة لقول هذا إلاَّ إذا اعتبره النحويون زائداً من جهة الإعراب، لا من جهة المعنى، فكل زيادة وردت في كتاب الله كان لها معنى ومدلول وسر بلاغي لا يفقهه إلا من تملك ناصية اللغة العربية، وأتقنها شعراً ونثراً وبلاغة.

ج- أسرار الصيغ المجازية:

المجاز عند البلاغيين استعمال الكلمة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع⁸⁰، ومن خلال قراءتنا المتواضعة لتفسير الشيخ التواتي ألفيناه يتبع منهج علماء الأصول، فإنهم يحبذون حمل الألفاظ على ظاهرها وأخذها على ما هي عليه في القرآن والسنة، وقد أشار إلى هذا المعنى الأمدى فقال: "فكل خطاب خاطبنا الله تعالى به أو رسوله صلى الله عليه وسلم"، فهو على موضوعه في اللغة ومعهوده فيها، إلا بنص أو اجماع أو ضرورة حس، تشهد بأن الاسم قد نقله الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم عن موضوعه إلى معنى آخر، فإن وجدنا ذلك، أخذنا على ما نُقل إليه"⁸¹.

ف نجد في قوله تعالى: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) سورة البقرة، الآية: 205. "ف" الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ"، وإن كانا في الأصل مصدرين فإنهما هنا وقعان موقع المفعول به⁸²، ويرجح قول الطبري بقوله: "إهلاكه الزرع" إحراقه، وقد يجوز أن يكون كان كما قال مجاهد باحتباس القطر من أجل معصيته ربّه وسعيه بالإفساد في الأرض. وقد يحتمل أن يكون كان بقتله القوأم به والمتعاهدين له حتى فسد فهلك. وكذلك جائز في معنى: "إهلاكه النسل" أن يكون كان بقتله أمهاته أو آباءه التي منها يكون النسل، فيكون في قتله الآباء والأمهات انقطاع نسلهما⁸³. فالحرث ذاته لا يهلك، إنما يهلك ما نشأ عنه من زروع وثمار، فسعى الزرع حرثاً؛ لأنه ناشئ عنه، ويسعى الزرع حرثاً للمجاورة والتناسب، ويدخل سائر الشجر والغراسات في ذلك حملاً على الزرع⁸⁴، ومعنى "الحرث" هنا أنه: الأصل وهو جيد في مجاز اللغة.

د. أضرب المشاكلة:

المشاكلة من المحسنات البديعية، والمشاكلة الموافقة⁸⁵، ويعرفها القزويني بـ «ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً»⁸⁶، فنجد في قوله تعالى: (تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ) سورة المائدة، الآية: 116، فهذا الضرب كما يقول -الزمخشري- مَسْلُكٌ بِالْكَلَامِ عَنْ طَرِيقِ الْمَشَاكِلَةِ، وهو من فصيح الكلام، والمعنى: تَعَلَّمْ مَعْلُومِي وَلَا أَعْلَمْ مَعْلُومَكَ، فقيل: "فِي نَفْسِكَ" لقوله: "فِي نَفْسِي"⁸⁷، وقد خص النفس لأنها مظنة الكتم والانطواء على المعلومات، قيل تعلم ما أخفي ولا أعلم ما تخفي⁸⁸، فلفظة "نفس" الثانية مشاكلة للفظة نفس الأولى، وقد ذكر الشيخ التواتي أثناء تفسير قوله تعالى: (وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا

اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)، سورة آل عمران، الآية: 54، أنّ المكر في اللغة، هو السعي على الانسان بالفساد خفية ومداجاة دون أن يظهر له ذلك... وقد يكون مكر الله تارة فعلا يقصد به مصلحة، ويكون تارة جزاء المكر، ويكون تارة بأن يقبح مكرهم في عينهم..⁸⁹، والمكر من حيث إنّه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة لا يمكن إسناده إليه سبحانه إلا بطريق المشاكلة⁹⁰، وإن كان الشيخ التواتي لم يُصرح بمصطلح "المشاكلة" إلا أن سياق الحديث تضمنه.

خاتمة الدراسة:

جاء هذا البحث الموجز ليعرفنا بالشيخ العالم التواتي بن التواتي ومراحل تنشئته وجوانب من ملامح تفسيره، الذي ينطلق من التحليل اللغوي للمفردة القرآنية، وبيان أوجه القراءات فيها، ثم استخراج المضامين وما احتوت عليه من معاني وأسرار ومواعظ، وبسط كل هذا بما يحيط بالمفسر وما يحياه، ومن هنا يمكن أن نستخلص بعض النتائج الأولية من خلال ما قدمناه سابقا على النحو الآتي:

- 1- اعتماده على التفسير الأثري في المقام الأول، ثم يرجح الآراء والأقوال الواردة فيه، لينتهي به المطاف الى تبني رأي أو ترجيح رأي عن آخر.
- 2- العمل على ترتيب الآيات وفق مواضعها وأنساقها المجملة بغية توضيح مقصديتها وردودها في السورة وفي القرآن كاملة، وهذا ما يسمى بالترابط الموضوعي.
- 3- حاول المفسر ابراز المعاني الاجمالية للآيات وتبين المواعظ والعظات المستخلصة منها.
- 4- دراسة أوجه البلاغة والنحو والاعراب وبيان مشروعيتها الاعجازية.
- 5- تدوين أوجه القرآن القرآنية الواردة ببعض الآيات واستخراج معانيها ومبانيها.
- 6- توظيف اللغة السهلة البعيدة عن التكلف والتعقير، بحيث تتبع أسلوبا سلسا يجعل القارئ يستوعب المعنى الاجمالي للآيات وما تقتضيه من عبر.
- 7- لا يجد القارئ صعوبة في فهم بعض المصطلحات والمفاهيم الاشتقاقية، بل بالعكس اجتنب الشيخ بعض المصطلحات والتصورات الذهنية والمنطقية والكلامية.. وأراح ذهن المتلقي بما يعييه ويفهمه.
- 8- انطلاقه من التفسير المرتبط بالمسائل الفقهية والفرعية، مع المقارنة بين المذاهب في بعض المسائل، وربط جزئيات الفقه بمقاصد الشريعة الكلية، والتزامه بأجوبة المذهب المالكي، لأنّ المفسر مالكي المذهب ولا يخرج عنه.

9- اسقاط معاني بعض الآيات والحوادث القرآنية على حياة المسلم وواقعه الذي يعيش فيه، وذلك على سبيل التذكير وعدم الغفلة، وأنّ صلاح الفرد المسلم باتباع منهج الله ومراده.

فهرس المصادر والمراجع:

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974.
- أصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، ط4، 1981.
- أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1957.
- البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، جامعة قطر، ط1، 1978.
- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، 1997.
- جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، جيزة، ط1.
- الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، مطبعة الحكمة، الجزائر، ط1، 2016.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.
- شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، تحقيق: فخر الدّيت قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط1، 1973.
- الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، تعليق، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن، أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد/ الأنصاري، قراءة: يحي مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المفردات، الراغب الأصفهاني، دار النشر و دار القلم، دمشق.
- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- الهوامش:

- 1 عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تحق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ص 355.
- 2 تسمية التواتي نسبة إلى إقليم توات الذي عاش فيها جدهم الأكبر، ثم انتقل بعد فترة إلى حياض الأغواط وأقام بين أهلها، وأنجب بها كل أبناءه وصار لهم صيت كبير وحفاوة محترمة، ومنهم الشيخ التواتي الذي بلغ صيته العالم العربي والإسلامي ببحوثه ونظريته وطروحاته الفكرية والإنسانية.
- 3 هذه المعلومات توصلت بها من قبل ابنه عبد القادر ابن التواتي الذي أمدني بكل ما احتجت إليه من معلومات، تاريخ التواصل معه يوم: 2020/11/25م.
- 4 هو أحد كبار رجال العلم والدين والفقه وريث الطريقة العزوية الرحمانية، من مواليد 1908م، أفنى حياته في تعليم القرآن الكريم في حي الشطيظ الغربي بالأغواط، تعلم

على يد والده الذي كان إماما بمسجد الشطيطة، ومؤسسا للمسجد في سنة 1905م، تخرج على يديه مئات الطلبة داخل الولاية وخارجها، ومن دعاة الإصلاح والتمسك بثوابت الأمة خاصة تمسكه بحفظ القرآن الكريم وتعليمه للأجيال وكذا حرصه على تعلم مبادئ واللغة العربية في الحقبة الاستعمارية، توفته المنية يوم: 4 أبريل 2008م عن عمر ناهز المائة سنة، رحمه الله تعالى.

• والطريقة الرحمانية هي التي جلبت الشيخ امبارك الميلي المصلح، والحاجة اقتضت لتصحيح العقائد الفاسدة هناك صاحب كتاب الشرك ومظاهره، وألف في الأغواط الجزء الأول من كتابه الشهير تاريخ الجزائر في القديم والحديث، وهو مؤسس مدرسة الشيبية، ومن تلامذتها الشيخ أبوبكر الحاج عيسى.

⁵أبوبكر الحاج عيسى الأغواطي تتلمذ على يده الشيخ أحمد حماني رحمهما الله.

⁶ حديث ذكره لي ابنه عبد القادر في مراسلة الكترونية يوم: 16 جوان 2021.

⁷ وكانت له ضمن سلسلة أعلام الجزائر دام تصويرها أسبوعا كاملا، وعرضت مرات عديدة، كما كان ضمن حصة مساجد تراثية ولقاءات تلفزيونية حصة الدكتور بلمهدي الوزير الحالي، وفي زيارته الأخيرة طلب منه مواصلة الأعداد المتبقية، أما على مستوى الجامعات فأغلب الجامعات كرمته كان آخرها جامعة تلمسان إلا أنه اعتذر وتم تأجيل الأمر. وفي معرض الكتاب العام الماضي أين صدر مصنفه المبسط في الفقه المالكي بالأدلة كرمه يومها الشيخ وهبة الزحيلي على مستوى خارج الوطن وكانت له لقاءات مع كبار العلماء في عمان والأردن وتونس.

⁸ الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، مطبعة الحكمة، الجزائر، ط1، 2016، ص5-8.

⁹ ينظر الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، ص30.

¹⁰ يروي لي ابنه عبد القادر أنه لما جاء الوزير مولود قاسم رحمه الله للأغواط رفض دخول القاعة التي كان مبرمجا فيها إلا بعد إحضار شيخه أحمد قصبية.

¹¹ ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 35/1.

¹²المفردات، الراغب الأصفهاني، دار النشر و دار القلم، دمشق، 8/1، وقد أولى الراغب الأصفهاني عناية كبيرة بالمفردة، خاصة ما يتعلق بالمفردة القرآنية، ذلك لأنها معنية بتحقيق شرع الله وأوامره، وبها تأسس الأحكام وتعقد الموائيق، وقد قدم الباحث المغيلي خدير، رسالة دكتوراه بيّن فيها إسهامات الراغب الأصفهاني وحرصه في إظهار دلالات الألفاظ القرآنية، ينظر: الدلالة عن الراغب الأصفهاني من خلال المفردات في غريب القرآن، المغيلي خدير، إشراف: صفية مطهري، جامعة وهران السانبا، 2009-2010، ص111.

¹³ ينظر: فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن، أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد/الأنصاري، قراءة: يحي مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مقدمة التفسير. وينظر: الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974م، ج4، ص213 وما بعدها.

¹⁴ البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الجويني: تحقيق: عبد العظيم الديب،

جامعة قطر، ط1، 1978، 1/1300.

¹⁵ ينظر: البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الجويني: ج4، ص213

- 16 ينظر: شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط1، 1973، ص95-96 .
- 17 ينظر: البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الجويني: ج4، ص214
- 18 ينظر؛ المرجع نفسه، ج4، ص.215.
- 19 نفسه، ج4، ص215.
- 20 نفسه، ج4، ص215.
- 21 نفسه، ج4، ص216.
- 22 نفسه، ج4، ص216.
- 23 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 29/1.
- 24 نفسه، 29/1.
- 25 نفسه، 30/1.
- 26 نفسه، 30/1.
- 27 ينظر: الموافقات في أصول الشريعة، أبي إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر. 7/4، وينظر: أصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، ط1، 1981، م4، ص 37/36.
- 28 الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 30/1.
- 29 نفسه، 536/20.
- 30 ينظر: الإتقان في تفسير القرآن، جلال الدين السيوطي، تعليق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، 318/1.
- 31 الصاحبى في فقه اللغة، ابن فارس، تعليق، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 212.
- 32 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تون ، 1997م، 21/1.
- 33 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 523 /20.
- 34 نفسه، 525 /20.
- 35 حديث ذكره لي ابنه عبد القادر في مراسلة الكترونية يوم: 16 جوان 2021.
- 36 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 29/1.
- 37 أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الصلاة)، برقم: 598
- 38 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 169-168/1.
- 39 نفسه، 169/1.
- 40 نفسه، 29/1.
- 41 نفسه، 31/ 1
- 42 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 477/17 -
- 43 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 20/53.
- 44 نفسه، 421/20.
- 45 نفسه، 497/20.
- 46 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 20/432.
- 47 نفسه، 487/20.
- 48 نفسه، 461/20.
- 49 نفسه، 487/20.

- 50 نفسه، 488/20.
- 51 نفسه، 75/20.
- 52 نفسه، 442/20.
- 53 نفسه، 461/3.
- 54 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 62/14.
- 55 مفاتيح الغيب، الرازي، 98/24.
- 56 تفسير القرطبي، القرطبي، 39/13.
- 57 أخرجه البخاري، 5478، ومسلم 1930.
- 58 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 7/490.
- 59 ينظر: الكافي في فقه أهل المدينة (ص: 187)، التاج والإكليل، 121/1.
- 60 ينظر: البحر الرائق، 232/8، والمبسوط، 97/1، وتارة يعبر الحنفية بقولهم: ولا بأس بالأكل في آنية المجوس، وغسلها أفضل، انظر المبسوط، 27/24.
- 61 ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 595/6.
- 62 الكشاف، الزمخشري، 58/2. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 255/6.
- وينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 12/5.
- 63 الاحكام، الأمدي، 99/3.
- 64 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 29/7.
- 65 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 181/3 وينظر المجلد 1221 ، والعياب 52/1.
- 66 ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي، 60/1 وينظر: اعراب القرآن، ابن سيده، 342/1.
- 67 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 170/3.
- 68 معاني القرآن، الاخفش، 558/2.
- 69 ينظر: معاني القرآن، الأخفش، 330/3.
- 70 تهذيب اللغة، الأزهري 3741/14.
- 71 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 497/19.
- 72 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 1/159.
- 73 تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، 33/1.
- 74 ابن جني، الخصائص، 287/1.
- 75 الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 1719/5.
- 76 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 384/14.
- 77 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 158/5.
- 78 أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1957، 2/313.
- 79 ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ص 368 /363.
- 80 ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 53، وينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص 588-589، وينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 94، وينظر: جواهر البلاغة، الهاشمي، ص 290.

-
- 81 الأحكام في أصول الإحكام، الأمدي، 28/4 .
- 82 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 548/3.
- 83 جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، جيزة، ط1. 32/1.
- 84 ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 257/2.
- 85 ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 176/7.
- 86 ينظر: متن التلخيص، الخطيب القزويني، ص 108، وينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، 252/2، وينظر: مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، 269/1.
- 87 ينظر: الكشاف، الزمخشري، 541/1.
- 88 البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 59/4.
- 89 ينظر: الدرر الثمين، التواتي بن التواتي، 548/3.
- 90 ينظر: تفسير أبي السعود، أبي السعود، 42/2.